۱۶۵۴۷

مجله	التضامن الاسلامی
تاریخ نشر	رمضان ۱۳۹۰
شماره	سوم سال بیست و پنجم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکهٔ مکرمه
زبان	عربی
نویسنده	محمود بابللی
تعداد صفحات	۱۳۸ - ۱۴۲
موضوع	حول سورة الفاتحة
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحضات	

خواطر :

حول سورة الفاتحة

بقلم الدكتور محمود بابللي
المستشار القانوني بوزارة التجارة والصناعة ـ الرياض

- ١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين • اياك نعبد واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم • غير المغضوب عليهم ولاالضالين • آمين

١ ـ ان سورة الفاتحة التي يقرؤها المسلم عشرات المرات في اليوم ، يقرؤها غالبا دون ان يتفكر في معناها، وان تفكر فيه يكون تفكيره سطحيا دون تدبر وفهم • رغم ان وجوب قراءتها في كل صلاة ، لسه دلالته على ضرورة تدبر ما تتضمنه من معان عظيمة وحكم بالغة ومفاهيم اسلامية أصيلة •

وقد توقفت عند قراءتها في عديد من المرات فوجدت فيها ما دفعني الى تسجيل خواطري عنها باستلهام معانيها ، وتتبع مفاهيمها على الشكل التالي :

٢ ـ نجده في سورة الفاتحة أهم مفاهيم الدين الاسلامي الأساسية موجزة في سبع آيات محكمات •

ففيها اقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى وانه لا اله غيره ولا رب سواه ، وانه رحمن رحيم ، وانه لا يعبد الا اياه ، ولا يستعان بأحد غيره ، وانه المنفرد في الربوبية في الدنيا ، والمالك للأمر اد في الآخرة ، فيرشدنا الى ما وراء هذه الدنيا من عالم هو عالم الغيب

فهو الواحد الأحد في كل أحواله وهو المنعم على عباده ، وهو الهادي الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ويحذرنا من سلوك غير هذا الصراط لئلا نكون ممن فعل عن هديه واستحق غضبه ، والعياذ بالله الرحمن الرحيم •

٣ ـ والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول عنها انها السبع المثاني في حديث رواه عنه أبو سعيد بن المعلى قال :

كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ، فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي • فقال : ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم • ثم قال لي : لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته •

٤ ـ ويقول عنها صلى الله تعالى عليه وسلم بانها الشافية :

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال :

« انطلق نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء

العرب فاستضافوهم فأبوا ان يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله اني لارقي . ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عقال . فانطلق يمشي وما به قلبة . قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا . فقدموا على رسول الله عليه وسلم فذكروا له فقال وما يدريك انها رقية ؟ ثم قال قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

٥ ـ ومن يؤمن بأن الله رب العالمين يؤمن بانه لا رب سواه ، فيقر بوحدانية الله سبحانه وتعالى . وانه المتفرد في حكمه في الدنيا ، فلا حاكم غيره ، ولا سلطان لأحد على العباد الاه ، لأنه رب كل شيء :

(ان كل من في السماوات والأرض الا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ، انالذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) . « مريم ٩٣ـ٩٦ »

ومن أقر بأن الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين ، علم بيقين أن هذا الرب ، الذي لا رب سواه ، هو رحمن رحيم .

وهذان الاسمان تقدما على كل اسم له سبحانه وتعالى غير لفظ الجلالة واقترنا بلفظ الجلالة اقتران تلازم دائم .

والافتتاح بالحمد لمستوجب الحمد ، لله رب العالمين اقترن بصفتيه الغالبتين ، واللتين تعطيان أول انطباع عنه سبحانه وتعالى بأنه الرحمن الرحيم .

وهكذا نجدهما دائما بشكل مستمر مقرونين باسمه عند التسمية في مباشرة كل أمر به وعند افتتاح كل سورة ، ليؤكدا أن الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم .

وقد أكد الرب جل جلاله هذا المعنى في أكثر من آية فقال :

(هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) . « الحشر ٢٢ »

وقال :

(وإلهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) . « البقرة ١٦٣ »

ومن آمن بأنه مالك يوم الدين فقد آمن بالغيب ، وآمن أنه سبحانه وتعالى ملك يوم الدين ومالكه ، ويوم الدين هو يوم الدينونة ، ويوم القصاص ، هو يوم الجزاء ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ولا تغني نفس عن نفس شيئا والأمر يومئذ لله .

ومن آمن بأنه رب العالمين ، عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، وأنه الرحمن الرحيم ، وأنه مالك وملك يوم الدين ، فلا يعبد الا اياه ، ولا يستعين بأحد سواه ، ويستغني عن كل ما عداه ، ويتوجه اليه وحده بطلب الهداية ، لأنه لا هادي غيره ، فهو الهادي الى الصراط المستقيم ، صراط من أنعم الله عليهم من عباده المؤمنين

٦ ـ الحمد لله رب العالمين

الحمد هو الشعور الذي يفيض به القلب كلما توجه العبد بالشكر الى الله ، فهو توجيه الشكر والثناء وتخصيصه بالله رب العالمين .

ومن هو الجدير بالحمد والثناء والتعظيم سوى رب العالمين ؟ رب كل شيء في السماوات والأرضين ، الذي لا يشاركه في ربوبيته أحد ، المتفرد في ملكوته ، الغني عن غيره ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

ومن هو رب العالمين ؟

هذا ما تساءل عنه فرعون وهو يحاور سيدنا موسى عليه السلام .

(قال فرعون وما رب العالمين) .
« الشعراء ٢٣ـ٢٨ »

أجابه موسى :

(قال رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) .

فاطهر فرعون العجب من هذا القول والتفت متسائلا:

(قال لمن حوله الا تستمعون ؟) .

فما كان من موسى الا أن زاد في الايضاح :

و (قال : ربكم ورب آبائكم الأولين) .

عندما استخف فرعون بهذا التأكيد وازداد غيا وخاطب جماعته بهذا الزعم الغريب .

و (قال : ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون)!

فتوجه موسى الى فرعون وصحبه ونبه فيهم نعمة العقل التي حاول فرعون أن يعميها عن موسى :

و (قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) .

هكذا غالط فرعون موسى في محاولته العاشلة بتجاهل رب العالمين ، وأراد بهذا التجاهل أن يوهم من حوله بأن اصراره على هذا التجاهل يضعف حجة موسى ويتراجع عن التعريف برب العالمين ، فوصفه بأنه مجنون، فكان رد موسى على هذه التهمة قوله لفرعون وصحبه بأن يعملوا عقولهم في التعرف على رب العالمين ، لأن من له عقل ويحسن الاستفادة منه لا بد أن يعرف من هو رب العالمين .

ومن لا يؤمن برب العالمين يغالط مثل مغالطة فرعون ويتجاهل نعم الله عليه . هذه النعم :

البارزة في كيانه كله من سمع وبصر وعقل ودم :

(وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم افلا تبصرون) .

والماثلة أمام ناظريه حيثما التفت وأنى ذهب :

(خلق السماوات والأرض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار . ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو ، فأنى تصرفون) .
« الزمر ٥ـ٦ »

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لأولي الألباب)
« الزمر ٢١ »

(خلق السماوات بغير عمد ترونها ، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضلال مبين) . « لقمان ١٠ـ١١ »

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز) . « الحج ٧٣ـ٧٤ »

هذه أمثلة من الآيات المحكمات التي يلفت رب العالمين اليها الأنظار والأفكار ويستشهد بها على عظمته وقدرته وهو الغني عن العالمين .

والحقيقة أن من يتمكر بآيات الله سبحانه وتعالى في نفسه وفيما حوله ، يستشعر بعظمة الله جل وعلا ، ويتقين أنه رب العالمين وأنه لا رب سواه .

فالحمد لله رب العالمين أولا وآخرا ودائما وأبدا ، وله الحمد في الأولى والآخرة .

والحمد لله الذي هدانا ـ رحمة بنا ـ الى حمده والثناء عليه .

سبحانك لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك .

٧ ـ الرحمن الرحيم

اسمان مترادفان مشتقان من كلمة الرحمة اختص بهما سبحانه وتعالى فكانا علما له لا يدانيه فيهما رحيم

فهو ليس رب العالمين فقط ، وانما هو رحمن رحيم

ولله الأسماء الحسنى .

فهو رحمن لمن خلق ورحيم بمن خلق وان رحمته وسعت كل شيء ، وانها سبقت غضبه ، وأنه سبحانه وتعالى أرحم الراحمين ، وقد كتب على نفسه الرحمة تفضلا على عباده ومنا .

وهذه الصفات (الرحمانية) الالهية تتجلى واضحة لكل ذي بصيرة عندما يلمس ويشاهد بنفسه رحمة الله بعباده في كل أمورهم ورحمة الله بمخلوقيه في كل ما يتصل بهم .

ومن رحمته سبحانه وتعالى بخلقه أنه أمر بالرحمة وحض على التراحم ، ووصى بها رسله وانبياءه ، ولم يقصرها على جنس البشر دون غيرهم ، وانما عممها على جميع من خلق حيث قال صلى الله عليه وسلم :

« ان في كل كبد رطبة أجر » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

« قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي اذا وجدت صبيا

في السبي أخذت فالصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟

قلنا : لا وهي تقدر ان لا تطرحه .

فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

« سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :

« جعل الله الرحمة مائة جزء ، فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل في الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

وتكرار التسمية بالله الرحمن الرحيم في مفتتح كل سورة ، والأمر بذكرها عند مباشرة كل عمل ، تنبيه وتذكير بأنه سبحانه وتعالى لا يقاربه في رحمته مخلوق مهما اتصف بالرحمة ، وأنه مهما اشتدت سطوته وتفاقم غضبه ، فان رحمته أسبق وأنه بعباده أشفق ، فهو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم .

وهو القائل :

(نبىء عبادي أني انا الغفور الرحيم) .

« الحجر ٤٩ »

فغفرانك اللهم ورحمتك بعبادك الذين أسرفوا على أنفسهم ، وسبحانك ما أرحمك والطفك وأكرمك .

٨ ـ مالك يوم الدين

وفي قراءة « ملك يوم الدين » أي أنه سبحانه وتعالى مالك الأمر كله لأن مرد الخلق جميعهم اليه في ذلك اليوم الذي لا ملك لأحد فيه سواه ، حيث يقال :

« لمن الملك اليوم ؟ » .

فيكون الجواب :

(لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) .

« غافر ١٦،١٧ »

هذا اليوم هو يوم الدين ، يوم الدينونة والحساب، يوم القصاص والجزاء ، يوم المثوبة والمكافأة ، يوم تجادل كل نفس عن نفسها ، يوم توفى كل نفس ما عملت ، هذا اليوم لا يملك الأمر فيه الا الله سبحانه وتعالى رب العالمين .

لذلك فان مالك الأمر كله ، ومالك الأمر وحده ، هو مالك يوم الدين ، هو مالك يوم الحساب ، هو رب الأرباب ، رب العالمين ، هو وحده مستحق الحمد ، والمتفرد به لا يشاركه فيه احد ، تبارك وتعالى شأنه وسبحانه وتعالى عما يصفون .

وملكية يوم الدين هي مسألة غيبية ، فمن يؤمن بأن الله رب العالمين . الرحمن الرحيم ، يؤمن بأنه سبحانه مالك يوم الدين .

والايمان بيوم الدين هو ايمان بالغيب ، لأن ملكية ذلك اليوم غير محسوسة أو مرئية في عالمنا هذا ولا يصدق بها من لا يؤمن بالغيب ، وانما هي مؤكدة لمن يؤمن بالغيب ، وهي مرجأة لما بعد الموت ، ليوم البعث والنشور ، ليوم الحساب ، ليوم الدينونة الكبرى الذي ليس وراءه الا الحساب .

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« ومن نوقش الحساب ـ يومئذ ـ هلك وفي رواية « عذب » فالايمان بأن الله سبحانه وتعالى هو ملك يوم الدين ومالكه ، هو ايمان بالغيب ، لأن الانسان مالك في هذه الدنيا لا محاله ، ولأن الأدلة كلها تشير الى أننا لم نخلق عبثا وأن مردنا الى الله .

والله سبحانه وتعالى أقسم بنفسه مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قائلا له :

(فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون) .

« الحجر ٩٢ـ٩٣ »

فاين هذا العمل الذي سيكون السؤال عنه حتما لا مفر منه ؟

انه في هذه الدنيا التي أمرنا أن نعمل فيها :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) . « التوبة ١٠٥ »

والسؤال سيكون أمام عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، حيث لا تخفى عليه خافية :

(اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) . « يس ٦٥ »

فالعمل والكسب في هذه الدار الدنيا التي خلقنا فيها ليبتلينا أينا أحسن عملا ، وليجازينا على ذلك يوم الدين .

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

« الزلزلة ٧ـ٨ »

فمن يتوهم أن هذه الدنيا ليست دار امتحان وابتلاء فقد خدع نفسه وأضاع عمره ، ومن يتصور أيضا أن هذه الدنيا هينة عليه وأمرها حقير عنده فقد غالط نفسه أيضا ، لأن من تقبل عليه الدنيا ويحسن الاستفادة منها فيما يرضي الله ، يكون من أولئك الذين ملكوا زمام أنفسهم وتحرروا رشدا .

وأما الذين حرموا من الدنيا لادبارها عنهم ، فزهدهم فيها زهد من لم يعش التجربة في ذاتها ، ولم يتذوق حلاوتها ليتمكن من الحكم عليها والصبر على فراقها وهي مقبلة عليه .

خواطـر :

حول سورة الفاتحة

بقلم الدكتور محمود با بلل
المستشار القانوني بوزارة التجارة والصناعة ـ الرياض

- ٢ -

ولتمحيص هذا الابتلاء ، خلق لنا مافي هذه الكائنات جميعها وسخرها لنا وسلطنا عليها ، فنحن (عباد الله) الذين آتاهم العقل والرشد واللب والادراك ، ليرددوا عند كل تبصر وتفكر ونظر :

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)
« آل عمران ١٩١ »

وعندما نكون عبادا لرب العالمين ونتيقن من أنه رب كل شيء ، وخالق كل شيء ، وأنه لا يعجزه شيء ، فان هذه العبودية تمدنا بمدد من عنده فلا يخيفنا شيء وهو ربنا ولا نستصعب شيئا وهو خالقنا ، ولا نتوجه الى غيره وهو كافينا ورازقنا .

وقد وصف رب العالمين محمدا سيد المرسلين بانه عبد تشريفا لـه وتعظيما لأن نسبة العبودية لله ـ كما بينا ـ رفع لقدر هذا العبد ، وتخليص له من عبودية غير الله ، ولأن من يشرك بعبادة الله ، لا يكون عبدا لله ، لأن الله غني عن الشريك ، ولأن العبادة عندئذ لا تكون له ، لأن الله لا يقبل العمل الا اذا كـان خالصا لوجهـه الكريم .

وقد جاء وصف عبودية الرسول صلى الله عليـه وسلم في آيات عدة تكريما له . قال تعالى :

(سبحان الذي اسرى بعبده ليلا) . « الاسراء ١ »
(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) .
« الكهف ١ »
(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) .
« الفرقان ١ »
(هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) .
« الحديد ٩ »

فعبودية الرسول لربه في هذه الآيات مقرونة بالتنزيه في الآية الأولى ، وبالحمد في الآية الثانيـة ، وبالتعظيم في الآية الثالثة ، وفي التأكيد بالآية الرابعة ، وكلها تتضمن التمجيد لله سبحانه الذي خص عبده بهذا الفضل العظيم .

ولو لم يكن في العبودية لله من وقعة شان العبد لما نعت الله سبحانه عبده المصطفى بهذا النعت الذي هـو أكثر الأوصاف خضوعا لله ، وصلة به من أي نعت آخر

اذ العبادة تعطي معنى التفرغ من كل شيء والانقطاع الى الله سبحانه ، وتعني أن مالك هذا العبد هو المتصرف فيه لا سلطان لأحد عليه غيره ، فيتحرر بذلك مـن عبودية غير الله ، وبهذا التحرر من عبودية غير الله يتحرر الانسان من كل شيء وبذلك يرتبط بالله ارتباط عبد بسيده ومولاه ـ ولا يخيب عبد كان الله سيده ومولاه .

١٠ ـ اياك نعبد واياك نستعين

(اياك نعبد) تفيد حصر العبادة فيه سبحانه مـن دون العالمين .

و **(اياك نستعين)** تفيد أيضا حصر الاستعانة بـه سبحانه من دون العالمين .

وقد قرن سبحانه وتعالى الاستعانة به مع الانفراد بعبادته وحده ، لأن الاستعانة من العبد لا تكون الا بالسيد الذي لا سيد سـواه . بالقدر الذي لا يعجزه شيء ،

بالغني الذي لا يفقره شيء ، بمن يعتقد أن فيه القدرة على العون وهي معدومة عند غيره .

ولا يكون طلب الاستعانة صحيحا ومقبولا الا اذا وقع من ضعيف عاجز محتاج الى العون ، الى من هـو أقوى منه وأقدر على مد يد العون اليه .

ولما كان الله وحده هو المستعان الأكبر الذي لا تصل الى قدرته قدرة مخلوق ، والذي لا يستعظمه شيء مطلوب فالاستعانة بغيره اشراك به .

وطلب العون من البشر فيما يتعاون به البشر غير محقق أيضا ان لم يأذن به رب البشر رب العالمين ، أي بتيسيره سبحانه .

وعلى هـذا يتحقق مفهوم ربط الاستعانة بالعبودية بأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل مـن أحـد أن يعبـده ويستعين بغيره لأن في ذلك خروجا على معنى العبودية الخالصة .

ومن يخلص العبودية لله ، وهو متيقن من أن الله هو القادر على كل شيء ، لا يتوجه بطلب العون الا اليه، لأنه سبحانه وتعالى يقول :

(وقال ربكم ادعوني استجب لكم) .
« غافر ٦٠ »

ومعنى الدعاء هنا هو العبادة ، ولا تتحقق الاستجابة ان لم يتحقق الاخلاص في العبادة . والتوكل على الله هو بمعنى الاستعانة بالله ، والله سبحانه وتعالى يضمن لمن يصدق بالتوكل عليه أن يعينه .

قال تعالى :

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .
« الطلاق ٣ »
(ولله غيب السماوات والأرض ، واليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه) . « هود ١٢٣ »
(الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .
« التغابن ١٣ »
(وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) .
« الاحزاب ٣ »
(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون)
« الانفال ٢ »

اللهم انا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب اليك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم اياك نعبد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

١١ ـ اهدنا الصراط المستقيم

هذا ارشاد لنا بأن نتوجه اليه جل شانه ضارعين :

أنت يا من نحمده ونقدسـه ، أنت يا من نعبده ونستعينه ونتوكل عليه ، أنت يا مالك الملك ، ويا ملك الأمر كله ، أنت يا رب العالمين ، أنت وحدك القادر على هدايتنا وتوجيهنا الوجهة الصحيحة اللازمة الدائمة لنا في ديننا ودنيانا ، أنت لا غيرك يا رب الأرباب القادر على هدايتنا الى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد.

اياك نعبد يا رب ، ولا نعبـد ربا سواك ، وبك نستعين يا رب على هدايتنا الى صراطك الذي لا يضل من اخذت بيده اليه ، ولا نستعين بأحد سواك .

فاهدنا يا الله يا رحمن يا رحيم الى الصراط المستقيم الذي ارشدتنا اليـه ـ وبرحمتك لنـا ـ أن نسالك هدايتنا اليه .

أنت يا رب الذي قلت على لسان نبيك :
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين :
فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين .
يقول الله : حمدني عبدي .
واذا قال : الرحمن الرحيم .
قال الله تعالى: مجدني عبدي .
واذا قال : مالك يوم الدين .
قال تعالى : أثنى علي عبدي .
واذا قال : اياك نعبد واياك نستعين .
قال الله تعالى : هـذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال .

وقد قلنا يا رب العالمين ما ارشدتنا اليه فضلا منك ورحمة ، فنسالك يا أرحم الراحمين أن تهدينا الصراط المستقيم ، صـراط الذين أنعمت عليهم غـير المغضوب عليهم ولا الضالين .

ونسألك يا الله أن تجعلنا من المؤمنين بك المخلصين بعبادتهم لك ، والمتوجهين بقلوبهم اليك ، والساجين يوم الوقوف بين يديك .

١٢ ـ صراط الذين أنعمت عليهم

هذه الآية تحدد وتوضح الصراط الذي نسأل الله مخلصين أن يهدينا اليه ، لأنه جلت عظمته يوجهنا ويرشدنا ـ من رحمته بنا ـ أن يكون صراط الذين أنعم الله عليهم ، اذ لا صراط سوى هذا الصراط :

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . « الانعام ١٥٣ »

ومن هم الذين أنعم الله عليهم ان لم يكونوا رسله وانبياءه والخيرة من خلقه ؟

فالهداية مطلوبة منه وحده ، لأنها مخصوصة به لا يشاركه فيها سواه :

(انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) . « القصص ٥٦ »

وعلى هذا لا يقدر على الهداية أحد غيره ، فهو الهادي الى سواء السبيل وهو الهادي الى الصراط المستقيم .

وكيف يتحقق للمسلم أن ينال هذه المرتبة العالية وأن يكون من المهتدين الى صراط الذين أنعم الله عليهم ؟

أوضح لنا سبحانه وتعالى بأن هذه المرتبة يالها كل من أطاع الله ورسوله بقوله جل شأنه :

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) . « النساء ٦٩ »

فطاعة الله وطاعة رسوله تحقق للمسلم حتما أن يكون من الذين أنعم الله عليهم ، فهو وعد من الله لعباده ولن يخلف الله وعده .

ومن هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ؟

تعددهم الآية الكريمة بانهم :

١ ـ النبيون .
٢ ـ الصديقون .
٣ ـ الشهداء .
٤ ـ الصالحون .

هذه الأصناف الأربعة هم الذين أنعم الله عليهم وهم المقصودون بالآية السادسة من سورة الفاتحة ، وهي : **(صراط الذين أنعمت عليهم) .**

وان المرتبة في أن يكون المسلم معهم تعني أنها دون الذين أنعم الله عليهم . لأن الصحبة او المعية لا تفترض المساواة حتما .

وتفيد هذه الآية أيضا أن الترتيب الوارد فيها بالنسبة للذين أنعم الله عليهم ترتيب أفضلية ، لان الأوائل منهم هم النبيون الذين لا يمكن لغيرهم أن ينال مرتبتهم ، ومن ثم يأتي ترتيب الباقين بحسب الأفضلية أيضا .

وعندما يتعمق المسلم في دراستها والتبصر فيها ، يؤمن ويوقن بأن الله سبحانه وتعالى لم يحل بين المسلم وبين أن يكون ممن أنعم الله عليهم باستثناء الصنف الأول منهم .

فان لم يكن التوصل الى هذه المرتبة العالية من الأصناف الثلاثة التالية للصنف الأول فلا أقل من أن يتمسك المسلم بطاعة الله وطاعة رسوله فيكون مع الذين أنعم الله عليهم .

وقد يتوصل المسلم بهذه الطاعة ـ الصادقة المخلصة ـ وبسلوك صراطهم المستقيم الى ان يكون منهم، جعلنا الله منهم أولي معيتهم ، فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ، ولا يخسر فيها من يصاحبهم ، رضوان الله تعالى وصلواته عليهم أجمعين .

ونسؤال الله سبحانه والاستعانة على أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم هو الهدف المقصود من هذه الآية ، الآية السادسة من سورة الفاتحة (صراط الذين أنعمت عليهم) لأن الآية الأخرى التي استشهدنا بها لتعرفنا من هم الذين أنعم الله عليهم جاءت بصدد مصير من يطع الله ويطع رسوله .

وبما أن الهداية الى سلوك صراط الذين أنعم الله عليهم هي الاستجابة من الله لما يقدم اليه من دعاء او تمجيد وتعظيم ، وما يرفع اليه من عمل صالح ، لذلك فان تحقيق ما نرجو ونسعى اليه هو في صدق توجهنا الى الله واخلاصنا في عبادته .

جعلنا الله من المخلصين ، المتوكلين عليه ، والهمنا

رشدنا وسدد خطانا ووقانا من الزلل ومن سلوك صراط غير صراط من أنعم الله عليهم ووصفهم بالمغضوبين والضالين .

١٣ ـ غير المغضوب عليهم ولا الضالين

عندما يبين لنا سبحانه طريق الهداية ، ويعرفنا على الذين اهتدوا الى صراطه المستقيم ليكونوا لنا أسوة وقدوة ، يبين لنا سبحانه أولئك الذين تنكبوا عن هذه الطريق وحادوا عنها ، وسلكوا سبلا غيرها بانهم المغضوب عليهم والضالون .

وهذا تحذير لنا من أن نكون من هذين الصنفين ، وتوجيه لنا بأن يكون سؤالنا بالهداية اقتداء بمن سبقت لهم منه الهداية ، تأسيا بهم وسيرا على منوالهم وعملا بسنتهم ، وأن لا يكون طلب الهداية مجرد ثمن خال من العمل .

والشرك بالله هو من الضلال الذي لا يرتضيه الله لعباده ، ولا يغفره لهم أبدا ، وصدق الله العظيم :

(ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) .
« النساء ١١٦ »

والشرك بالله وصفه رب العالمين بانه ظلم ، وليس ظلما فحسب ، وانما هو ظلم عظيم . وذلك على لسان لقمان وهو يعظ ابنه :

(يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .
« لقمان ١٣ »

وهذا الظلم هو ظلم النفس لان الله غني عن العالمين

وهنالك ظلم من نوع آخر يدخل في معنى الشرك ، وهو الاعتزاز بالمال والولد والاعتداد بهم من دون الله .

قال تعالى :

(وكان له ثمر (مال) فقال لصاحبه وهو يحاوره: انا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا .

قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟ لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي احدا . ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ، واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي احدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) . « الكهف ٣٤ـ٤٣ »

هذا الايضاح لمعنى من معاني الكفر والشرك الوارد في هذه الآيات يجعلنا نتعوذ بالله منه ومن غيره ، ومن أن نكون من الضالين ، اي من غير المهتدين ، لان المهتدي هو الذي يسير على بصيرة ونور ، ولا يحبط خبط عشواء اعماها عن سلوك هذه الطريق المبصرة مال أو ولد ، فئة أو جماعة ، جاه أو منصب .

وعندما نذكر المال والولد نتذكر قوله تعالى :

(يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم) . « الشعراء ٨٨ـ٨٩ »

فنوقن أن هذا اليوم ـ يوم الدين ـ لا ينفع الانسان فيه الا عمله الصالح ، عبادته المخلصة لله ، ورحمة الله به وهدايته الى الصراط المستقيم .

والمغضوب عليهم هم أشد ضلالا من غيرهم ، لان من يقع عليه غضب الله لا يفلح أبدا ، ومن يتعرض لغضب الله لا يستقيم له حال .

ان الضال هو الذي غاب عن الصراط الذي يشده والذي صعب عليه أن يهتدي الى طريقه ، فاخذ يحبط في طرق غيرها .

وهذا الضال لم يهتد الى طريقه ولم يحد عنها بعد أن تعرف عليها ، بخلاف المغضوب عليه ، الذي اهتدى الى الطريق الصحيحة ، ولم يسلكها زيادة في اثمه في الكفر والعياذ بالله .

والمغضوب عليهم هم فئة اليهود الذين صلوا على علم وعرفوا الطريق فتنكبوها ، وعرفوا دعوة الله اليهم فكروا بها ، وقتلوا أنبياءه ورسله ، وزعموا أنهم الساجون من بين الناس .

وقد أوضح القرآن الكريم بشيء من التفصيل لماذا غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا أليما .

واكتفي بهذه الآية التي تبين اصرارهم على الكفر .

يقول تعالى :

(وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا : سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل : بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) . « البقرة ٩٣ »

١٤ ـ نستخلص مما سبق أن هذه السورة الكريمة قد أرشدت الى أهم المفاهيم الكلية للاسلام ، فكانت بحق ايضا السبع المثاني وأم الكتاب والفاتحة . لانها تتضمن:

١ ـ توحيد الله رب العالمين وتخصيصه بالحمد الذي هو أهله :

« اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك » .

٢ ـ وانه الرحمن الرحيم الذي تشمل دائرة رحمته كل شيء ، وهو الذي جعل الرحمة أبرز صفاته وأقربها اليه تقدس اسمه :

(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) .
« البقرة ١٦٣ »

(هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) . « الحشر ٢٢ »

٣ ـ اقرار بأنه مالك يوم الدين ، يوم البعث والنشور يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

يوم ينفع الصادقين صدقهم .

يوم يقول المجرمون :

(يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا)
« الكهف ٤٩ »

هذا اليوم الذي لا يملك فيه أحد من الامر شيئا ، اذ الأمر يومئذ لله .

٤ ـ والايمان بيوم الدين ايمان بالغيب ، وايمان بما يحدثنا به الله . والايمان برب العالمين ايمان بما أنزله الله على رسله وأنبيائه بواسطة ملائكته المقربين في كتبه المكرمة فهو ايمان بالانبياء والرسل ، والكتب والملائكة

(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)
« البقرة ٢٨٥ »

٥ ـ ان العبودية خالصة لله ، وأنه المستعان وحده :

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) .
« البينة ٥ »

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » .
« الذاريات ٥٦ »

(أمر ألا تعبدوا إلا إياه) . « يوسف ٤٠ »

والله سبحانه هو المستعان وهو الصمد المقصود بالحوائج وهو حسب الذين يتوكلون عليه وهو رب العرش العظيم .

٦ ـ ان الهداية منه وحده وانه لا يصح التوجه بطلبها الى أحد غيره ، كما لا يصح الطلب منه الا باستعداد لها ، تاسيا بمن سبق وأنعم الله عليهم من الذين سلكوا اليه الطريق متزودين بخير زاد ، فكانوا من الفائزين .

٧ ـ ان الله لا يهدي الا الى صراط مستقيم ، لأنه الهادي الى الحق ، الهادي الى الرشد والصواب ، الهادي الى سواء السبيل .

ولأنه جل جلاله عدل لا يقبل الا عدلا ، وطيب لا يقبل الا طيبا .

فهذه الدعوة الى الصراط المستقيم تسلك بالانسان سبيل الخير ، فهي أساس لسعادة البشرية ما تمسكوا بها واستقاموا عليها .

(وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا)

٨ ـ تحذيرا من مجانبة هذا الصراط المستقيم وخوفا من أن يضل الانسان فيستحق غضب الله . والضلالة مردودها على الانسان نفسه ، لأن الهداية من الله للبشر محققة فيما لو سلكوا الطريق المستقيم ، هذه الطريق التي سلكها الذين أنعم الله عليهم ، وعلى رأسهم

الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه الذي ضمن لنا الجنة فيما اذا صدقنا في اتباعه :

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) . « آل عمران ٣١ »

١٥ ـ وعلى هذا يكون مجمل هذه السورة قائما على التوجه الى الله بالحمد لأنه رب العالمين ، وهو اقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

وتوحيد الله سبحانه هو أس الاسلام وذروته ، ومن توحيد الله واخلاص العبودية له ، والاعتقاد الصادق بانه الفعال لما يريد ، وانه مالك الأمر كله ومالكه وحده يسهل علينا كل عسير ويهون أمامنا كل صعب ، ويصغر في أعيننا كل عظيم ما سوى الله وتتوحد الكلمة بتوحيد الله سبحانه وتمجيده وتنزيهه عمن سواه ، ولا تكون هنالك قدسية الاله ، ولا تعلو كلمة سوى كلمته ، وتقطع سبل الغواية والفساد ، ويبهرم كيد الشيطان ، ويصلح الأمر كله .

وهذا هو مقصود الدين وما يهدف اليه .

والقرآن الكريم والكتب السماوية قبله قامت كلها على الدعوة الى عبادة الله وحده وتوحيده وتمجيده وتنزيهه عمن سواه .

(فتعالى الملك الحق

لا إله إلا هو رب العرش الكريم) .
(المؤمنون ١١٦ »

وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

في مشرق العيد
بقية ص ١٣١

المعنوية التي وقعت بين الاخوة في الأردن بفعل خصوم الاسلام وتوسيعهم الشقة بين المسلمين هؤلاء وأولئك من حقهم علينا أن نجعل الابتسامة العريضة تعلو وجوههم والفرحة الغامرة تستبد بهم ليتسوا المآسي وليشتركوا مع المسلمين في يوم عيدهم في الفرحة وليشعر الفقير والمسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان كما جاء في الحديث ولكن الفقير أو المسكين من لا يجد كفافا ولا يسأل الناس الحافا واذا كان الشارع الحكيم قد شرع زكاة الفطر لاعفاف المساكين والفقراء في يوم العيد يوم الفرحة وقال رسول الهدى صلى الله عليه وسلم أغنوهم بها عن السؤال في هذا اليوم أي حتى لا تعلو وجوههم الكآبة من مرارة الحرمان في يوم تشرق فيه الوجوه أفلا يجد بالغناء المتعففين في الأمة لا بزكاة الفطر فحسب بل بالفضول من الأموال وبالرفد والبر والصلة اشعارا بمكانتهم في المجموعة انها انسانية لو لم يندب اليها الدين لتوجب على كل انسان أن يعلنها ويعبر عنها عن واقع أن الفرحة بالعيد والزهو بلبس الجديد لا طعم لذلك ولا لون الا اذا شاركه فيه غيره من أبناء جنسه فتعم بذلك الفرحة وتبدو على كل ثغرة ابتسامة ويكون في كل قلب بهجة ، ألا ما أجمل العيد وأروع أهدافه نسأل الله أن يعيد على المجموعة الاسلامية الأعياد على خير ما تكون عليه من عز ونصر على الأعداء ورخاء وسعادة ونختم المقال بالبيت الذي بدأناه به لنرفع عن الأعين المنظار الأسود الذي كثيرا ما يجلب اليأس ويجعل المستقبل مظلما .

ان ربا كفاك بالأمس ما كا ن سيكفيك في غد ما يكون